النموذجات

من كتاب « الديارات » للشابشتي

« هذا كتاب جليل ، يُعدّ في نظرنا من المصادر ذات الشأن . ألفه الشابشتي
« المتوفى سنة (٣٨٨ هـ) كما يقول ابن خلكان ، وكان نديم العزيز
« العبيدي وصاحب كتبه ، حققناه وعلقنا عليه ، معتمدين على نسخة
« مخطوطة فريدة كتبت سنة ٦٣١ هـ ، كان العلامة الجليل الأستاذ
« محمد كرد علي ، أتى بنسخة مصورة عنها إلى خزانة المجمع العلمي
« العربي بدمشق »

« وهاك أنموذجات منه : »

دير سمالو (١)

(وصفه)

وهذا الديرُ شرقيّ بغداد ، بباب الشماسية ، على نهر المهدي . وهناك أرحية للماء ، وحوله بساتينُ وأشجارٌ ونخلٌ ، والموضع نزه حسن العمارة آهل بمن يطرقه ، وبمن فيه من الرهبان .

وعيد الفصح ببغداد فيه منظر عجيب ، لأنه لا يبقى نصراني إلا حضره وتقرّب منه (٢) ، ولا أحد من أهل الطرب واللهو من المسلمين إلا قصده للتنزه فيه . وهو أحد متنزهات بغداد المشهورة ، ومواطن القصف المذكورة .

(١) في الأصل [سمالوا] والصواب ما أثبتنا . وقد دُعي بهذا الاسم نسبة إلى إحدى مدن الحدود الأرمينية التي افتتحها الرشيد في غزوة عام ١٦٣ هـ (٧٨٠ م) . وقد أمر الخليفة بتهجير أهل هذا الموضع إلى بغداد ، فحلوا في الأراضي الكائنة في شمال بغداد الشرقي ، حيث شيد هذا الدير الذي أطلق عليه اسم موطنهم الأصلي (أنظر الترجمة العربية لكتاب :

Le Strange : Baghdad during the Abbasid Caliphate (oxford, 1924)

بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ١٧٦) وكان خرباً زمن صاحب مرصد الاطلاع . (المراصد ص ٦٣٢ ج ١ طبعة جوينبل) تجد أخبار هذا الدير في معجم البلدان لياقوت : ج ٢ : ٦٧٠ وج ٣ : ٦١٦ « طبعة أوروبة » ، وفي مسالك الأبصار للعمري ص ٢٧٥ ، وفي مراصد الاطلاع ج ١ : ٦٣٢

(٢) يمكن ان تكون [فيه] بمعنى تقرب الى الله فيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(شعر قيل فيه)

ولمحمد بن عبد الملك الهاشمي فيه :

ولرُبَّ يوم في سمالو تم لي ... فيه السرورُ وغيبت أحزانه[1]
وأخٍ يشوب حديثه بحلاوةٍ ... يلتذ رجع حديثه ندمانه
جعل الرحيقَ من المدام شرابَه ... والمحسناتُ من الأوانس شانُه
بكرت عليَّ به الزيارةُ فاغتدى ... طَرباً إليَّ وسرَّني إتيانُه
فأمرتُ ساقينا وقلت له اسقنا ... قد حان وقتُ شرابنا وأوانه
فتلاعبتْ بعقولنا نسوانه ... وتوقدت بخدودنا نيرانه
حتى حسبتُ لنا البساطَ سفينةً ... والدير ترقص حولنا حيطانُه

وخالد الكاتب فيه :

يا منزل القصفِ في سمالو ... مالي عن طيبكَ انتقالُ
واهاً لأيامك الخوالي ... والعيشُ صافٍ بها زُلالُ
تلك حياةُ النفوس حقاً ... وكلُّ ما دونها محالُ

(خالد الكاتب)

وهو ابو الهيثم خالدبن يزيد الكاتب[2] . وكان مليح الشعر رقيقه . لا يقول إلا في الغزَل ، ولا يجاوز الأربعة أبيات ولا يزيد عليها ولم يكن له شعر في مدح ولا هجاء .[3]

(١) في مسالك الأبصار ص ٢٧٥ « فيه النعيم وغيبت أحزانه »

(٢) سماه في معجم الأدباء ج ١١ ص ٤٧ (طبعة الرفاعي) خالد بن زيد وهو خطأ . انظر الأغاني ج ٢١ (طبعة ساسي) ، وتاريخ بغداد ج ٨ ، والوافي بالوفيات ج ٤ قسم ٢ .

(٣) هذا ما يقوله الشابشتي . والعجيب اننا وجدنا له شعراً في المدح وفي الهجاء . فلقد هجا أبا تمام (الأغاني ١٩ : ٣١) وكان هجاؤه هذا بلاء عليه . أما المديح ، فقد عثرنا له في ديوانه المخطوط الموجود في دار الكتب الظاهرية ، ذي الرقم ١٢ شعر (الذي نحققه الآن) ، على خمس قصائد الأولى في ثلاثة وعشرين بيتاً يمدح بها الحسن بن وهب الكاتب ومطلعها :

يا وجه أحسن من يمشي على قدم ...

والثانية في ثلاثة وأربعين بيتاً يمدح بها محمد الزيات ... أولها

أتاب وأقصر عن جله ...

والثالثة في تسعة عشر بيتاً يمدح بها محمد بن عيسى بن جعفر ، ومطلعها : —

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(خالد الكاتب وابن الأعرابي)

وذكر ميمون بن حماد قال : دخل عليّ يوماً أبو عبد الله بن الأعرابي فقلت له : يا أبا عبد الله ، سمعتَ من شعر هذا الغلام شيئاً .. ؟ قال : ومن هو ؟ قلت : خالد ابن يزيد . قال : لا ، وإني لأحب ذلك فصحْ به ؛ فجاء حتى وقف . فقلت أنشدْ أبا عبد الله شيئاً من شعرك ، فقال : إنما أقول في شجون نفسي ، لا أمدح ولا أهجو . فقلت انشده .. فأنشده :

أقولُ للسقم عُدْ إلى بدني حباً لشيء يكون من سببك

قال ابن الأعرابي : حسبك يا غلام ، فقد خيل إليّ أن الرقة قد جُمعت لك في هذا البيت ! .

(خالد الكاتب وابن المهدي)

قال جحظة : حدثني خالد الكاتب قال : لم أشعر إلا ورسول ابراهيم بن المهدي قد وافاني . فدخلت إليه[1] فاذا برجل أسودَ مشفراني قد غاص في الفرش . فاستجلسني فجلست . فقال أنشدني من شعرك ، فأنشدته :

رأت منه عيني منظرين كما رأت ... من البدر والشمس المضيئة بالأرض[2]
عشيةَ حيّاني بوردٍ كأنه ... خدودٌ أُضيفت بعضُهن إلى بعض
وناولني كأساً كأن رضابها ... دموعي لما صد عن مقلتي غمضي[3]
وولّى ، وفعلُ السكر في حركاته ... من الراح ، فعل الريح بالغصن الغض[4]

— عينٌ بها من دمعها كحلُ .. .

والرابعة في أربعة أبيات يمدح بها محمد بن عيسى أيضاً أولها :

في قريش فتى تخيره الجودُ ...

والخامسة في أربعة أبيات يمدح بها محمد بن موسى اولها

بذلُ ابنِ موسى فوق تأميله ...

(١) كذا في الأصل ، وفي مسالك الأبصار [فذهبت اليه] (٢) في زهر الآداب ٢ : ١٣٩ (الرحمانية) ... [من الشمس والبدر المنير على الأرض .] (٣) في زهر الآداب ٢ : ١٣٩ (الرحمانية) [ونازعني كأساً كأن حبابها] وهو أعذب (٤) في زهر الآداب ٢ : ١٣٩ (الرحمانية) « وراح وفعل الراح في حركاته كفعل نسيم الريح بالغصن الغض »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فزحف حتى صار في ثلثي المصلى ، ثم قال : يا بنيّ ! شبه الناسُ الخدودَ بالورد ، وشبهتَ أنتَ الورد بالخدود .. ! زدني ، فأنشدته :

عاتبت نفسي في هواك م فلم أجدها تقبلُ
وأجبت داعيها اليك م ولم أطع من يعذل[1]
لا والذي جعل الوجوه م لحسن وجهك تمثل
لا قلت إن الصبرَ عن م ك من التصابي أجمل

فزحف حتى صار خارج المصلى . ثم قال زدني . فأنشدته :

عِش فحُبّيكَ سريعاً قاتلي والضنى ان لم تصلني واصلي[2]
ظفر الحبُ بقلب دَنِفٍ بك والسقمُ بجسم ناحل[3]
وبكى العاذل لي من رحمةٍ فبكائي لبكاء العاذل[4]

فصاح وقال: يا بليق[5] ! كم لي معك (من العين)[6] قال : ستماية وخمسون[7] ديناراً ، قال : اقسمها بيني وبينه ، واجعل الكسر كاملاً للغلام .[8]

(خالد الكاتب وابن صدقة المغني)

وذكر أحمد بن صدقة المغني قال : اجتزت بخالد الكاتب يوماً فقلتُ له « اعمل لي ابياتاً أغني فيها أميرَ المؤمنين ، يعني المأمون . قال : « فأيُّ حظ لي من ذلك .. ؟ تأخذ أنت الجائزة ، وأحصل أنا على الإثم .. ! » فحلفت له إنه إن وصلني بشيء

(١) في الأغاني [ج ٢١ ص ٣٣] « وأطعتُ داعيها إليك ... » وفي مسالك الأبصار ص ٢٧٦ [ولم أجب من يعذل]

(٢) في مسالك الأبصار ص ٢٧٦ : « والهوى إن لم تصلني واصلي » ورواية الشابشتي أصح

(٣) كذا في الديوان المخطوط . وفي الأغاني (٢١ -- ٣٦) :

« ظفر الشوق بقلب دنف فيك والسقم بجسم ناحل »

(٤) في مسالك الأبصار ص ٢٧٦ : « فبكائي من بكاء العاذل » . وبعد هذا في الديوان .

فهما بين اكتئاب وضنى تركاني كالقضيب الذابل

(٥) الأغاني (٢١ : ٣٣) « يا رشيق » (٦) الزيادة من الأغاني (٧) في زهر الآداب (ثلثماية وخمسون ديناراً) (٨) في الأغاني (فأعطاني ثلاثماية وخمسين ديناراً فاشتريت بها منزلي بساباط الحسن والحسين ، فآواني إلى يومي هذا)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قاسمته اياه فقـال لي : « أنت أنذل من ذاك ! ولكن ذكّره بي ، فلعله أن يصلني بشيء .. » قلت : أفعل ، فأنشدني :

تقولُ سلا ، فمن المدْنفُ ؟ ومَنْ عينه ابداً تَذْرِفُ .. ؟
ومَنْ قلبه قلِقٌ خافقٌ عليكَ ، وأحشاؤه ترجف !

فحفظت الشعر وعملت فيه لحناً . وحضرنا عند المأمون من الغد ، وكان بينه وبين بعض حظاياه هجرة ، فوجهت بتفاحة مكتوب عليها بالغالية [1] : « يا سيدي سلوت ؟ » وابتدأت أغني بشعر خـالد . فلما غنيته اياه ، انقلبت عيناه ، ودارتا في أمّ رأسه ، وظهر الغضب في وجهه (و) قال : « لكم علي حُرمي أصحابُ أخبار .. ؟ » فقمتُ إعظاماً لما شاهدت منه ، وقلت : « أعيذُ اميرَ المؤمنين بالله أن يظنّ بعبده هذا الظنّ وأنزّه [2] داره ان يكون لأحد عليها صاحب خبر .. » قال : « فمن أين عرفت خبري مع جاريتي حتى غنيت لي معنى ما بيننا .. ؟) فحدثته حديثي مع خالد ، فلما انتهيت الى قوله « أنتَ أنذلُ من ذاك » قال : أشهد أنك كذاك » وأسفر وجهه ، و قال : « ما أعجب هذا الاتفاق .. ! وأمر لي بخمسه آلاف درهم ، ولخالد بمثلها .

(له بقية) صلاح الدين المنجد

---

(١) ضرب من معجونات الطيب (انظر شفاء الغليل للخفاجي ص ١٦٤)
(٢) في الأصل [نزّه] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net